# قرب الجسر، وسط الشارع

# قرب الجسر، وسط الشارع

بعد غفوة لا تتجاوز ثانيتين وقف مذعورًا وراح يبحث بعيونه في كل الاتجاهات، نادى شوفور الميكرو حتى يتوقف عند الموقف، ونزل بسرعة.

لم ينْزِل بسرعة قبل الموقف الذي ينْزِل فيه بموقفين بسبب اشمئزاز الركاب من رائحة الزيت التي تفوح منه نتيجة عمله في مطعم فلافل، وليس هروبا من المرور من أمام الدكنجية، أبو رشاد وأبو نظمي، أكثر الدكنجية إلحاحًا في طلب ديونهم وأكثرهم سهرًا ينتظرونه حتى إلى ما بعد موعد وصوله هذا بساعة وأكثر، مع أن هذه المشكلة جعلته يسهو وهو يعمل فوق مقلاة الفلافل ونسي انتشال الأقراص وكاد يحرق يده، كان مهموما يفكر بالطريق الذي عليه أن يسلكه متجنبًا كل دكنجي محتمل، ولقد قدم له المعلم عدة ملاحظات قاسية، ربما يطرده في القريب العاجل.

لم ينْزِل من أجل كل ذلك.

عندما يفكر بكل هذه المشاكل يصل إلى مرحلة يكاد ينفجر، فليست عودته إلى البيت في الساعة الثانية عشرة ليلا بعد ثماني عشرة ساعة من العمل المتواصل هي المشكلة الوحيدة، فذهابه إلى عمله في الصباح مشكلة أيضًا، خاصة أن طريقه يطول يومًا بعد يوم تحت ضغط الديَّانة، ويضطر للخروج والدخول إلى بيته من النافذة العالية المطلة على بستان مليء بكتيبة من الكلاب الشرسة، يضطر للركض خوفًا من أن تعضه، وتكون زوجته قد وضعت له سلما، ثم ينهار بعدها عند أقرب نقطة أسير لهاث وسعال لا يتوقفان بسهولة.

لم يخطر على باله كل ذلك!

ما خطرت على باله كل ديونه قريبة كانت أم بعيدة. بل قفز من الميكرو بحيوية غريبة ثم مشى مهرولا بنشاط لم يظهر عليه منذ زمن بعيد بعيد، نتيجة منام قلب كل كيانه، فصدقه ولا يملك على كل حال أن يكذبه.

رأى في غفوته القصيرة أن سيارة بيجو ستيشن تمر على طريق المطار، يقع منها شنتة كبيرة فيها خمسمائة ألف ليرة، ومسدس كاتم للصوت ونظارة شمسية، قرب الجسر، وسط الشارع ولا ينتبه إليها أحد.

ما هذا المبلغ الضخم! خمسمائة ألف ليرة دفعة واحدة! رآهم بعينيه اللتين سيأكلهما الدود! في كل عمره، في كل عمره لم ير أو يعد أكثر من عشرين ألفا.

يتوجب عليه أن يسرع. صار قلبه ينبض بشدة عندما خطر على باله أن أحدًا مر بالقرب الشنتة، رآها فأخذها وفر بها.

راح يركض.

سيدخل هذه المرة من الباب مثل كل الناس، كل يوم بعد أن ينتهي من العمل في المطعم سينزل عند أقرب موقف من بيته، لماذا المرور من طريق الكلاب؟ بل لماذا.. لماذا العمل المسائي أصلا؟ رائحة الزيت التي تعبئه من رأسه إلى قدميه بحاجة إلى حمام متواصل شهرا كاملا! وهل سيركب ميكرو بعد اليوم؟ سيجيء بتكسي إلى أمام الباب، سوف يترك العمل في المطعم، ويكتفي بعمله الوظيفي، سينام بعد غداء دسم ساعتين كاملتين، سيأخذ زوجته وأولاده كل جمعة إلى الربوة، سيذهب إلى السينما والقهوة ليلهو ويمضي الوقت. خمسمائة ألف تكفي وتزيد،

سوف ينتقم من أبو نظمي البغل الذي يموت على القرش، سيحمل رزمة سميكة من المال ويدخل إلى دكانه، ثم سيريه إياها، لعل جلطة دماغية تقتله بدقيقة، عندها يخلص كل صباح من وجهه المنفوخ وعينيه الخارجتين من وجهه كضفدع، سوف يرتاح من صوته المحفور في دماغه عندما سأله عن قائمة الحساب، فراح الملعون يسردها بصوته البغَّالي: خبز، خبز، خبز خبز خبز، وظل يعيد الكلمة نفسها وكأنه يشمت منه، جعله ذلك يدرك بالدليل القاطع أن أولاده الستة ومعهم زوجته لا يأكلون إلا الخبز، لم ينم ذلك اليوم من التفكير في حل وقد داهمه الصباح كثور. غدًا سيشتري طنًا من الرز وخمسين كيسا كبيرا من السكر وعشر تنكات كاملة من الجبنة، سيشتري الألعاب والزمامير لأولاده، والملابس والذهب لزوجته، سيعوضهم غدًا، في يوم الغد تحديدًا.

يجب أولا وقبل أي شيء أن يلحق بالشنتة قبل أن يأخذها أحد، إنه يكاد يراها، لونها أسود من الجلد السميك مربوطة بإحكام، يكاد يعين بالضبط أين وقعت بالضبط، هناك، قرب الجسر، وسط الشارع، ربما تكون السيارات قد داستها. يجب أن يحث الخطا أكثر، إنه لعلى يقين عظيم من أنها تنتظره، سيتخفى بين أشجار السرو ويراقب ثم سيركض ويأخذها قبل أن يراه أحد.

ولكن إن سئل من أين لك هذا، فبماذا يجيب؟ يجب أن يظل الأمر سرًّا، لن يخبر حتى زوجته، سيذهب كعادته بعد أن يتجاوز كتيبة الكلاب أولاد الكلاب، اليوم فقط حتى لا يراه أبو نظمي حاملا الشنتة، ثم سيصعد فوق السلم، ايه، لعل وعسى أن تكون زوجته الثرثارة في سابع نومة في هذا الوقت، سينزل بالشنتة ويذهب إلى المطبخ ويضعها في السقيفة، سيعد كل النقود ليرة ليرة ويتلذذ برؤيتها، لن يقبل بأقل من خمسمائة ألف، سيتخلى عن المسدس كاتم الصوت والنظارة الشمسية، لقد رتب حياته وحياة عائلته على أساس ذلك، ثم سيخبئها في قعر الجرة

القديمة حتى لا يصلها لا الجرذان ولا الفئران أو الصراصير، سوف يتناول منها ألفا وراء ألف إلى ما شاء الله.

كل شيء في مكانه مثلما رآه في المنام! طريق المطار مضاء وكأنه نهار، السيارات تمر كالبرق لا يكاد يراها لسرعتها، ولأنه على يقين عظيم من أنه سيجد الشنتة في مكانها فإنه لا ينظر صوبها مطلقًا، يراقب الشارع من خلف شجرة السرو إن كان فيه بعض الفضوليين، لا أحد والحمد لله، يمشي بهدوء إلى مكان شنتته، يتحاشى السيارات المسرعة، ويصل بعد أن كادت تدهسه إحداها، يتكئ على عمود الجسر، ثم يلتفت من حلاوة الروح صوب السيارة التي مرت كالصاروخ وكادت تدهسه، يبصق بقوة:

- تفوه خرا عليك شو راكب صاروخ؟!

هه! غريب! لأول مرة يتصرف بغير تهذيب.

يتابع إلى شنتته، يتجمد.

ليست في مكانها!

يصعق! أين هي؟ من سبقه إليها؟ كل شيء في مكانه تمامًا إلا الشنتة! ما هذه الخربطة! أين هي! يرى رجلا يحمل شنتة يحسبها شنتته، يغضب، يقرر أن يهاجمه غير أنه ينتبه إلى أن شنتة الرجل بنية وليست سوداء، يتراجع بعدما تحفز وخطا الخطوة الأولى، يقف حائرًا، ينظر بحقد إلى مكان وجود شنتة المنام، لن يعود بغير نقوده، يبحث بين السيارات المارة والذاهبة إلى المطار عن سيارة بيجو شتيشن، ربما تمر وترمي الشنتة، غير أنها لا تأتي، لن يعود بغير نقوده مهما كلفه الأمر، سينتظر، لقد صدَّق منامه ولا يمتلك أن يكذبه بأي حال، لأول مرة يكون

قويا ويمتلك قراره كاملا، لن يعود! لن يعود إلى البيت بغير نقوده! يجب أن ينتظر مجيء سيارة بيجو ستيشن تحمل نقوده.

يتقدَّم بخطوات واثقة ويقف كمسمار في وجه سيل السيارات، هناك، في مكان شنتته في المنام، قرب الجسر، وسط الشارع.